فتابعه الملأ ثم عادوا لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر ونزل كلام على ذلك فانحاز القوم في الرجوع
إلى أرض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله
ثم نرجع فدخلوا مكة أي بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا قال في الإمتاع ويقال رجوع من كان
هاجر إلى الحبشة الهجرة كان بعد الخروج من الشعب هذا الكلام وفيه نظر ظاهر ويرشد
إليه البغوي لأنهم مكثوا في الشعب ثلاث سنين أو سنتين ومكث هؤلاء عند النجاشي حينئذ
كان دون ثلاثة أشهر كما علمت وأيضا الهجرة الثانية للحبشة إنما كانت بعد دخول الشعب
كما سيأتي قال في الأصل ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ثم رجع إلى أرض
الحبشة أي وهذا من صاحب الأصل تصريح بأن ابن مسعود كان في الهجرة الأولى وهو موافق في ذلك
لسيرة الحافظ الدمياطي لكن الحافظ الدمياطي جزم بأن ابن مسعود كان في الهجرة الأولى ولم يحك
خلافا وما جاء به الأصل حكى فيه قولا أنه لم يكن فيها وبه جزم ابن إسحاق حيث قال إن ابن مسعود إنما
كان في الهجرة الثانية فكان ينبغي له أن يقول على ما تقدم هذا وفي كلام بعضهم فلم يدخل
أحد منهم مكة إلا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة إلا عبد الله بن مسعود فإنه رجع إلى أرض الحبشة
وقد يقال لما لم يطل مكث ابن مسعود بمكة عبر بأنه لم يدخلها فلا يخالف ما سبق ويجوز أن يكون
أكثرهم دخل مكة بلا جوار فأطلقوا على الكل أنهم دخلوا مستخفين فلا يخالف ما سبق أيضا
ولما رجعوا القوم أي المشركين اشتدوا عليهم . قال ولما دخل بجوار عثمان بن مظعون دخل في
جوار الوليد بن المغيرة ولما رأى ما يفعل بالمسلمين من الأذى قال والله إن غدوي ورواحي
آمنا بجوار رجل من المشركين وأصحابي وأهل ديني يلقون من الأذى في الله ما لا يصيبني لنقص
كبير مني فمشى إلى الوليد فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك فقال له
يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي وأنت في ذمتي فأكفيك ذلك فقال والله ما عرض لي أحد
ولا آذاني ولكن أرضى بجوار الله عز وجل وأريد أن لا أستجير بغيره قال انطلق إلى المسجد
فاردد إلي جواري علانية كما أجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا
عثمان قد جاء يرد علي جواري فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريما ولكني لا أستجير
بغير الله عز وجل فقد رددت عليه جواره فقال الوليد أشهدكم أني بريء من جواره إلا أن يشاء
ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل إسلامه فجلس
عثمان معهم فقال لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل . فقال عثمان صدقت . فقال لبيد
وكل نعيم لا محالة زائل . فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش
ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم إن هذا سفيه في سفهاء فارقوا

وممن أوذي في الله

دينا

دينا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب
يرى ما بلغ من عثمان فقال أما والله يا ابن أخي كانت عينك لغنية عما أصابها ولقد كنت في ذمة منيعة
فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت غنيا فقال عثمان بل كنت إلى الذي لقيت فقيرا والله إن عيني
الصحيحة التي لم تلطم لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله عز وجل وإني فيمن أحب الله لكم أسوة وإني
لفي جوار من هو أعز منك انتهى فعثمان فهم أن لبيدا أراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة ومن
ثم قال له نعيم الجنة لا يزول لا يقال لولا أن لبيدا يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم الآخرة
لما تشوش من الرد عليه لأنا نقول يجوز أن يكون تشوش من مشافهة عثمان له بقوله كذبت على
أن هذا ينافي ما ذكر أن لبيدا قال هذا الشعر قبل إسلامه ويوافقه ما قيل أكثر أهل الأخبار
على أن لبيدا لم يقل شعرا منذ أسلم ويرده ما في الاستيعاب أن هذا أي قوله ألا كل شيء ما خلا
الله باطل إلى آخره شعر حسن فيه ما يدل على أنه قاله في الإسلام وكذا قوله وكل امرئ يوما
سيعلم سعيه . إذا كشفت عند الإله الحاصل . وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذي لا يقدر

معنى ألا كل شيء ما خلا الله باطل

بما لنا الا عن مسلم أن يكون قاله في حال إسلامه كما وقع لأمية بن أبي الصلت حيث قال في شعره
ما لا يقوله إلا مسلم مع كفره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيه آمن شعره وكفر قلبه وفي
رواية كاد يسلم . وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته
العرب كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل اعلم أن الموجودات كلها وإن وصفت بالباطل
فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام إذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلا
من حيث أن لا وجود له من ذاته فحكمه حكم العدم وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل أي كالباطل
لأن العالم قائم بالله تعالى لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل والعارف إذا وصل إلى مقام
القرب من بدايات عرفانه ربما تلاشت عنه الكائنات وغاب عن شهودها بشهود الحق لا أنها
زالت من الوجود بالكلية ثم إذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا في آن واحد وما كل أحد
يصل إلى هذا المقام فإن غالب الناس إن شهد الحق لم يشهد الخلق وإن شهد الخلق لم يشهد الحق كما تقدم
عند الكلام على الوصف أنه لا يدركها إلا من أدرك اجتماع الضدين وهو من شهد الأول في قول
الأستاذ أبي الحسن البكري رضي الله عنه أستغفر الله مما سوى الله لأن الباطل يستغفر
من إثبات وجوده لذا يزد بوافق قول أكثر أهل الأخبار قول السهيلي وأسلم لبيد وحسن إسلامه
وعاش في الإسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله عمر رضي الله عنه أي في خلافته عن
عن تركه الشعر فقال ما كنت لأقول شعرا بعد أن علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم البقرة وآل
عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة من أجل هذا القول فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة وقيل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)